نظرية الخلق المستمر

بين القديس توما الأكويني ورينيه ديكارت

" دراسة تحليلية نقدية مقارنة "

أ. مروة أحمد السيد قنديل

باحثة دكتوراه في الفلسفة القديمة والعصور الوسطى

كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

يتناول هذا البحث أحد الموضوعات الشائكة والهامة في الفكر الفلسفي في القرون الوسطى، ألا وهي نظرية الخلق عند القديس توما الأكويني وأثرها في الفكر الغربي الحديث، لا سيما عند ديكارت.

يهدف هذا البحث إلى دراسة تأثير توما الأكويني في فلسفة ديكارت الفيزيقية، وعلى الأخص في نظرية الخلق المستمر، من خلال تركيز الضوء على فكرة الأكويني في هذه النظرية وامتداد أثرها إلى ديكارت.

ولما كانت عملية التأثير والتأثر بين الحضارات والمجتمعات عملية واقعية لا مجال لإنكارها، فالفكر الإنساني يمتاز بطبيعته المتراكمة، فالسابق يؤثر في اللاحق، واللاحق ينهل من سابقيه، ويضيف عليه، أو يتناوله بالنقد والتهذيب، من ثم كان لابد من الإشارة في هذا البحث إلى الفلسفات التي أثرت في فكر القديس توما الأكويني ومدى تأثره بهذه الفلسفات سواء بالأخذ عنها أو نقدها، أو محاولة تعديل أجزاء منها لتتناسب مع فكره وعقيدته المسيحية، كذلك الحال في فلسفة ديكارت الفيزيقية وفي فكرته عن الخلق ووجود العالم.

تعريف الخلق – الخلق المستمر :

خلق الله العالم أي صنعه وأبدعه، ويُقال خلق فلان الشيء أبدعه، والخلق أيضاً المخلوق، ويُطلق على الجمع، ومنه الخليقة، وهي الطبيعة أو ما خلقه الله، والخلق هو الإيجاد، وقد يكون من مواد مخصوصة أو صوراً وأشكالاً معينة، وليس الخلق الذي هو إيجاد الشيء من لا شيء إلا لله تعالى، ويُطلق عليه الإبداع.

وللخلق معنيان: الأول هو إحداث شيء جديد من مواد موجودة سابقاً، كخلق الأثر الفني، أو خلق الصور الخيالية، والثاني هو الخلق المطلق، وهو صفة لله تعالى، لأنه سبحانه وتعالى مبق، وإبقاؤه مساوٍ لإيجاده، يُحدث العالم بإرادته ويُبقيه بإرادته، ولو لم يرد بقاءه لبطل وجوده. فإذا كان العالم باقياً، فمرد ذلك إلى أن الله يديم وجوده، وهو ما يسميه ديكارت بالخلق الدائم أو الإبداع الدائم [1].

ولقد عرف لالاند الخلق بأنه إنتاج أي شيء، خصوصاً إذا كان جديداً في شكله، لكن بواسطة عناصر موجودة من قبل، كخلق عمل فني.

---

(١) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج ١، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت – لبنان، ١٩٨٢، ص ص ٥٤١ – ٥٤٢.

أما إذا سلمنا بأن العالم ليس أزلياً ، بل بدأ في الزمان، يُقال خلق أو خلق من لا شيء على الكيف الذي اكتسب وجوده به.

والخلق التواصلي هو، عند المدرسيين والديكارتيين، الفعل الذي يحفظ الله به العالم في وجوده، الفعل المماثل لذلك الذي أُحدث به العالم قديماً [١].

توما الأكويني : حياته – مؤلفاته :

ولد توما الأكويني اللاهوتي والفيلسوف الكاثوليكي بإيطاليا (١٢٢٤ – ١٢٧٤م)، بدأ دراسته الابتدائية في سن الخمس سنوات، ثم التحق بجامعة نابولي ودخل دير رهبنة الدومينيكان *، وفي عام ١٢٤٤ بدأ دراسة الفلسفة واللاهوت، ثم عاد إلى فرنسا وحاضر فيها عن اللاهوت حتى عام ١٢٥٦. ولقد أمضى توما ما يقرب من عشر سنوات في الأديرة الدومينيكية في محيط روما محاضراً للفلسفة واللاهوت، بالإضافة إلى دراسة واسعة للأعمال الرئيسة لأرسطو.

ولقد قدم توما الأكويني خلال عشرين عاماً العديد من الأطروحات اللاهوتية الكبيرة، بالإضافة إلى تساؤلات فلسفية ولاهوتية أخرى. وتعد فلسفة الأكويني إعادة تفكير في الأرسطية [٢]، ولقد ترك الأكويني عدداً من الرسائل القصار منها نقاط مذهبية طُلب رأيه فيها وكذلك بعض النصوص الجدالية حول الشكل الجديد للحياة الدينية، وقد ترك عدداً من المؤلفات الأصيلة الكبرى، تتمثل بصورة رئيسة في الخلاصتين، الخلاصة في الرد على الأمم، والخلاصة اللاهوتية، وفي الشروح على أرسطو وكتاب العلل [٣].

---

(١) أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، م ١، ط٢، منشورات عويدات، بيروت – باريس، ٢٠٠١، ص ص ٢٣٥ – ٢٣٦.

* الدومينيكان : جماعة من رهبان الكاثوليك، أسسها القديس الإسباني دومينيك (١١٧٠–١٢٢١ م) في عام ١٢١٦ م، واسمها الرسمي " جماعة الوعاظ ، بدأت بوعظها في جنوب فرنسا لهدى الألبيين (الألبيجيين)، ثم انتشرت في أنحاء البلاد كافة قبل وفاة مؤسسها دومينيك، حياة الراهب فيها كانت مكرسة للدراسة والصلاة والوعظ، ولها معاهد علمية خاصة لتعليم الرهبان، وتدار الرهبانيات هذه بطريقة انتخابية ديمقراطية، وقد كان لها شأن كبير في مجادلات ومناظرات القرون الوسطى، ويُعد القديس نوما الأكويني من أكبر لاهوتي دومينيكاني، وتخصص الدومينيكان في الفلسفة والدراسات اللاهوتية، وهم منتشرون الآن في معظم أنحاء العالم.
انظر : أليكسي جورافسكي، الإسلام والمسيحية، ترجمة خلف محمد الجراد، عالم المعرفة، العدد ٢١٥، الكويت، ١٩٩٦، ص ٥٢.

(1) Encyclopedia of Philosophy , Editor , Donald Drochert , 2nd edition , Macmillan Reference , Thomsom Gale , USA , 2006 , p p 424 , 425 .

(٣) معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ط ٣، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٦، ص ٢٤٢.

وكانت مؤلفات الأكويني متعددة فمنها : الشروح والتفاسير، وأبرز شروحه على أسفار الكتاب المقدس مع الحقبة التي كتبت فيها هي كالتالي:

- شرح سفر إرميا ١٢٦٥ – ١٢٦٧.
- شرح رسائل القديس بولس ١٢٦٥ – ١٢٦٧.
- شرح رسائل القديس يعقوب ١٢٦٩ – ١٢٧٢.
- شرح إنجيل يوحنا ١٢٦٩ – ١٢٧٢.
- شرح إنجيل متّى ١٢٧٢ – ١٢٧٤.
- شرح سفر المزامير ١٢٧٢ – ١٢٧٤.

أما التفاسير فكانت تفاسيراً لغالبية كتب أرسطو [١]، وتشتمل الشروح على :

١- كتاب العبارة (١٢٦٩ – ١٢٧١).
٢- كتاب البرهان (١٢٦٩ – ١٢٧٢).
٣- السماع الطبيعي (١٢٦٨).
٤- في السماء والعالم (١٢٧٢).
٥- في الكون والفساد (١٢٧٢).
٦- في الآثار العلوية (١٢٦٩ – ١٢٧١).
٧- في النفس (١٢٦٦).
٨- في الحس والمحسوس (١٢٦٦ – ١٢٧٢).
٩- في الذاكرة والتذكر (١٢٦٨ – ١٢٧١).
١٠- في ما بعد الطبيعة (١٢ مقالة) (١٢٦٨ – ١٢٧٢).
١١- في الأخلاق إلى نيقوماخوس (١٢٦٩).
١٢- في السياسة (١٢٦٩).
١٣- كتاب الخير المحض (١٢٦٩ – ١٢٧٣)[٢].

كما ألَّف في المسائل المتنازع عليها، ومحاولة مناقشتها بالإضافة إلى كتابات فلسفية "كقضايا الجبهة " و " مغالطات بعض الفلاسفة " و " مبادئ الطبيعة " و " الوجود والماهية" و" الشراء والبيوع المؤجلين " و " حكم الملوك " و " أعمال الطبيعة الخفية " و " الجواهر المفارقة " و " مزج العناصر " [٣].

---

(١) لويس صليبا، هكذا علّم توما الأكويني، قدم له بولس الفغالي . دار ومكتبة بيبليون، لبنان، ٢٠١١، ص ٢٨- ٣٠.
(٢) عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج ١، ط ١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤، ص ٤٢٨.
(٣) لويس صليبا، مرجع سابق، ص ٣٤ – ٣٧.

ولقد حاول الأكويني التوفيق بين الفلسفة والدين، وفي إطار حديثه عن العلاقة بينهما، يقول في الخلاصة اللاهوتية : " فالتعليم المقدس إذاً ليس له علم أعلى منه، فهو يناظر بطريقة الاستدلال من يجحد مبادئه متى كان الخصم مسلماً بشيء مما قد حصل بالوحي الإلهي، كما يناظر المبتدعين بآي الكتاب المقدس، ومن يجحد عقيدة أخرى. أما متى كان الخصم غير معتقد شيئاً مما كشف بالوحي الإلهي، فليس بعد ذلك من سبيل إلى إثبات العقائد الإيمانية بالأدلة، بل إلى نقض ما قد يورده من الحجج المضادة للإيمان، لأنه كما كان الإيمان مستنداً على الحق المعصوم، ويستحيل ما يُضاد الحق بالبرهان، وضح أن الحجج التي تُقام على نقض الإيمان ليست براهين بل أدلة مردودة. وإذا لم يكن لأدلة العقل الإنساني محل في إثبات العقائد الإيمانية، إلا أن هذا التعليم يستدل مع ذلك من العقائد الإيمانية على غيرها.. كما أنه إذا كان الدليل النقلي المبني على العقل الإنساني في غاية الوهن لكن الدليل النقلي المبني على الوحي الإلهي في غاية القوة. على أن التعليم المقدس قد يستخدم العقل الإنساني لكن ليس لإثبات الإيمان، لأن ذلك ناسخ لاستحقاق الإيمان، بل لإيضاح ما يورد فيه مما سوى الإيمان.. ولذلك ما يستشهد التعليم المقدس بأقوال الفلاسفة أيضاً في ما قدروا على إدراكه أيضاً بالفطرة الطبيعية.. فالتعليم المقدس يأتي بمثل هذه النصوص على أنها أدلة أجنبية وظنية، وأما نصوص الكتاب القانوني فإنما يوردها على أنها خاصة وضرورية..." (١).

فالنص السابق للإكويني يوضح نظريته ورؤيته للعلاقة بين الفلسفة والدين، فالتعليم المقدس عنده أو اللاهوت أعلى العلوم لقيامه على مبادئ الوحي الإلهي التي لا شك فيها، ولا سبيل إلى نقاشها، أما الأدلة العقلية التي تناقض وتعارض مبادئ الوحي الإلهي فإنها مردودة لأنها ضعيفة وليست على مستوى قوة مبادئ الوحي الإلهي. كما أن اللاهوت قد يستخدم في بعض الأحيان أقوال الفلاسفة لا على أنها حقائق مسلم بها، وإنما أقل درجة من الحقيقة اللاهوتية فهي ظنية، فالفلسفة عند الأكويني أقل من الوحي أو الحقائق اللاهوتية ولكنها في الوقت ذاته خادمة للحقائق اللاهوتية وتابعة لها.

أما عن فلسفة توما الأكويني، ففلسفته كلها مستمدة من فلسفة أرسطو، حيث يدين فكر الأكويني بقدر كبير لأرسطو، ويحاول التوفيق بين الفكر الفلسفي الأرسطي والعقائد المسيحية، هذه المحاولات تعالج قضايا مثل طبيعة الله، ووسائلنا للخلاص، وفهمنا لطبيعة الخلق، كما هو مدون في مؤلفاته الأصلية (٢).

---

(١) توما الأكويني، الخلاصة اللاهوتية، م ١، ترجمة بولس عواد، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٨٨٧، ص ص ٢١–٢٢

(٢) عبد الرحمن بدوي، مرجع سابق، ص ٤٢٨. وانظر:
John Shand , Philosophy & Philosophers " an Introduction to Western Philosophy ", UCL Press , London , 1993 , p 60 .

العالم عند القديس توما الأكويني :

لا توجد عبارة يألفها الناس في العالم المسيحي أكثر من الآية الأولى في الكتاب المقدس والتي وردت في بداية العهد القديم: " في البدء خلق الله السماوات والأرض... " (التكوين ١ : ١)، فهنا يؤكد الله فعل الخلق أو فعله الخلاق الذي خلق به الأشياء تماماً مثلما يؤكد تعريف وجوده " أنا أكون ما أكون Ego Sum " دون أي مبرر ميتافيزيقي، فإذا كان الله هو الوجود، وإذا كان هو وحده الوجود، فإن كل ما عدا الله لابد أن يستمد وجوده بالضرورة من الله(١).

و كان الفلاسفة المؤمنون بإله واحد قبل توما الأكويني عند تعرضهم للميتافيزيقا يتجاوزوا أرسطو بالرجوع إلى إحدى الصور الأفلاطونية، وبذلك أكملوا أرسطو أو عدلوه وهذا ما فعله ابن سينا، وابن جبيرول، وابن ميمون، وابن رشد، إلا أن أحداً منهم لم يستطع التغلب على التعارض الموجود بين فلسفتيْ العصور القديمة، أي بين الأرسطية والأفلاطونية، وبالتالي لم يستطع التوفيق بينهما في وحدة مذهبية واحدة، لم ينجح في ذلك أحد قبل القديس توما الأكويني (٢).

فعقيدة الخلق غريبة عن الفكر الأرسطي، وإنما توما يرى أن العالم مخلوق، وهذا القول يعني بأن كل كائن فيه يستمد وجوده من الكائن الإلهي، لأن الله وحده يمتلك في ذاته الكينونة (الوجود).. بل إنه الكائن المستمر بذاته، الكائن الذي ماهيته تقتضي وجوده، وتلك هي " الحقيقة السامية " التي كشفها الله لموسى عندما خاطبه " أنا هو الكائن " (٣).

ويصوغ توما خمسة براهين لإثبات وجود الله: البرهان بالحركة، و البرهان بالعلة الفاعلة، والبرهان بالواجب، والبرهان بالتفاوت في مراتب الوجود، والبرهان بالعلة الغائية (٤)، ولكن نقطة الوصول دائماً واحدة، وهى الله، إنه لا متناه وواحد.. وحده يوجد بذاته وما عداه لا يوجد إلا به، والنتيجة الدينية لهذه الميتافيزيقا: إن الله حاضر في جميع الأشياء " الله هو الكائن نفسه، ذلك الكائن الذي ماهيته تتضمن وجوده، ينتج عن ذلك أن الكائن المخلوق هو

---

(١) إيتين جيلسون، روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، ط ٣، مكتبة مدبولي، ١٩٩٦، ص ص ١١١ – ١١٢.

(٢) زينب محمود الخضيري، أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٢٤٨.

(٣) جونسو، وبوجان، تاريخ الفلسفة والعلم في أوروبا الوسيطية، ترجمة علي زيعور وعلي مقلد، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٣، ص ١٢٤.

(٤) عبد الرحمن بدوي، مرجع سابق، ص ص ٤٢٩– ٤٣٠.

الفعل الخاص لله مثلما أن الاحتراق هو الفعل الخاص للنار، ولكن هذا المفعول، الله يخلقه ليس فقط عندما تصبح الأشياء مكونة، بل وأيضاً طالما هي محفوظة في الكائن مثلما أن النور يظل في الهواء بفعل الشمس طالما أن الهواء يبقى مُنارا [١].

وكل موجود ما خلا الله مخلوق من الله ضرورة، لأن الوجود القائم بذاته لا يُمكن أن يكون إلا واحداً ، فيلزم أن كل ما خلا الله ليس عين وجوده، ولكنه موجود بالمشاركة صدوراً عن ذات الله، لأن ما يصدر عن الله صدوراً ضرورياً فهو مثل الذات، وليس العالم مثل الله، ومن هذه الناحية أيضاً يسقط مذهب وحدة الوجود الذي يعتبر العالم مظهراً لله [٢]، و لقد خلق الله العالم من العدم ولم يخلقه من مادة سابقة، ولقد ورد في الوحي بأنه لم يوجد وقت قبل وقت الخلق، علاوة على ذلك فالعالم يعتمد في وجوده على الله، فالله لم يخلق العالم فقط، ولكنه يُسبب له أيضاً استمرارية بقائه، فالله سبب نشأة الخليقة كلها وسبب استمرارها[٣] .

ويذهب الأكويني إلى تحديد كيفية الخلق أو ماهيته، فالخلق عنده ليس معناه خلق هذا الجزء أو ذاك الجزء الآخر، بل الخلق هو خلق للكل معاً ، وإذا خلق الكل معناه إيجاداً للكل، وإيجاد الكل معناه الخلق من العدم، لأنه ما دام كل شيء سيوجد، فمعنى ذلك أنه لم يكن ثمة شيء فوجد شيء، إذ نرى أنه لم يكن ثمة أجسام ولا حركة ولا زمان، وإذا بنا نجد حركة وأجساماً وزماناً ، فهاهنا إذن خلق من العدم، ما دام الخلق خلقاً للكل [٤].

ولقد ذهب الأكويني إلى أن العالم حادث، وهنا نجد مغايرة لمذهب أرسطو في وجود العالم، حيث ذهب أرسطو إلى أن العالم قديم، وأن هناك محركاً أولاً لهذا العالم، وأن الموجودات ترتبط بالمحرك الأول عن طريق العشق أو محاولة الوصول إليه عن طريق التخلص من الماديات، ولقد أشار الأكويني إلى فكرته في خلق العالم في كتابه الخلاصة اللاهوتية، ونصه الآتي: ((إن عقائد الإيمان لا يُمكن إثباتها بالبرهان لأن الإيمان يتعلق بغير المنظورات.. وكون الله خالق العالم بحيث إن العالم حادث وعقيدة إيمانية، فإننا نقول أؤمن بإله واحد.. " في البدء خلق الله السماوات والأرض " وهنا تصريح بحدوث العالم.

---

(١) جونسو وبوجان، مرجع سابق، ص ص ١٢٤ – ١٢٥.

(٢) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢، ص١٥١.

(3) Norman L. Geisler: Encyclopedia of Christian Apologetics, Published by Baker Books , United States , 1999 , p 24.

(٤) عبد الرحمن بدوي، فلسفة العصور الوسطى، ط ٣، وكالة المطبوعات – دار القلم، الكويت – بيروت، ١٩٧٩، ص ١٥٦.

فإذاً حدوث العالم إنما يُعلم بالوحي فقط، ولذا يمتنع إثباته بالبرهان... فحدوث العالم في الوجود أمر يُعتقد بالإيمان وليس يُثبت بالطريقة البرهانية أو العلمية..)) [1].

وفي موضع آخر أشار الأكويني إلى أن أرسطو لم يُجزم بحقيقة قدم العالم، أو أنه لا توجد أدلة برهانية دالة على قدمه ((لا يجب أن يكون شيء قديماً غير الله وليس ذلك مستحيلاً .. فإذاً ليس من الضرورة أن يكون العالم قديماً ، ولذا ليس يمكن إثبات ذلك بطريقة البرهان، وليست الأدلة التي أقامها على ذلك أرسطو في الطبيعيات (ك ٢) برهانية على الإطلاق، بل من وجه أي رأي لنقض أدلة المتقدمين الذين قالوا ببداية العالم على طرق مستحيلة في الحقيقة... ولقد صرح في كتاب الجدل (ك ١ ب ٩) بأنه يوجد بعض مسائل جدلية ليس لنا عليها أدلة كمسألة قدم العالم.)) [2].

ولقد أخذ الأكويني بنظرية الخلق المستمر وأشار إليها في الخلاصة اللاهوتية [*]، وتقوم هذه النظرية على ((أن المخلوقات لا تحتاج أن يحفظها الله في الوجود لأن ما يستحيل عدمه فلا حاجة إلى حفظه في الوجود، كما أن ما يستحيل ذهابه لا حاجة إلى حفظه لئلا يذهب، وبعض المخلوقات يستحيل عدمها طبعاً . فإذاً ليست جميع المخلوقات محتاجة أن يحفظها الله في الوجود، بيان الصغرى أن ما يوجد في شيء بالذات فبالضرورة يوجد فيه، ويستحيل وجود مقابله فيه، كما أن عدد الاثنين هو بالضرورة شفع ويستحيل أن يكون وتراً ، والوجود بالذات لاحق للصورة لأن كل شيء إنما هو موجود بالفعل من جهة أن له صورة، وبعض المخلوقات صور قائمة بأنفسها كالملائكة.. فيكون الوجود حاصلاً لها بالذات، وكذا حكم الأشياء التي ليست مادتها بالقوة إلا إلى صورة واحدة كالأجرام السماوية،

---

(١) توما الأكويني، الخلاصة اللاهوتية، م ١، ترجمة بولس عواد، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٨٨٧، ص ص ٥٦٦ – ٥٦٧.

(٢) توما الأكويني، مصدر سابق، ص ٥٦٢.

* يُعد ابن رشد أول من قال بنظرية الخلق المستمر ،فتعتبر نظرية الخلق المستمر الذي لا يخضع لفكرة الزمن ولا يحتاج إلى مادة سابقة عليه من أشد النظريات ابتكاراً عند ابن رشد، ولقد أخذ توما الأكويني هذه النظرية عنه. ففكرة الخلق عند اين رشد تدور حول أن الخالق محرك أول وأن فعل الخلق هو تحريك المادة، وبما أن الحركة مستمرة، فالخلق متجدد ومستمر، أي أنه لا يتم دفعة واحدة من العدم، بل هو متجدد من لحظة لأخرى، أنه يجعل العالم يتغير ويستمر في الوقت نفسه، أي أن القدرة الخالقة عنده مستمرة، وهذه القدرة تحافظ على العالم وتحركه باستمرار، أي أن العالم قديم ولكن له علة خالقة ومحركة هي الله الذي هو بالطبع قديم أيضاً مثل العالم وإن كان يمتاز عنه أنه دون علة.
انظر : محمود قاسم، نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى القديس توما الأكويني، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص ١١٩، زينب محمود الخضيري، مرجع سابق، ص ٢٣٤.

فإذاً هذه الأشياء هي في طباعها موجودة بالضرورة ويستحيل عدمها لأن القوة إلى عدم الوجود لا يجوز أن يكون محلها الصورة التي يلحقها الوجود بالذات ولا المادة الموجودة تحت صورة يستحيل خلعها إذ ليست بالقوة إلى صورة أخرى.

وأيضاً الله أقدر من كل فاعل مخلوق. وقد يمكن لفاعل مخلوق أن يفيد مفعوله حفظ الوجود بعد انقطاع فعله، كما يبقى البيت بعد انقطاع فعل البناء.. فالله إذن أولى بأن يقدر على إفادة خليقته حفظ الوجود بعد انقطاع فعله)) [1].

((والإيمان والعقل يوجبان القول بأن المخلوقات يحفظها الله في الوجود، ولتوضيح ذلك يجب أن يُعتبر أن شيئاً يحفظ من آخر على نحويْن: أحدهما بالتبعية وبالعرض كما يُقال لمن يدرأ عن شيء ما يُفسده أنه يحفظه، كما أنه إذا حرس حارس طفلاً لئلا يسقط في النار يُقال إنه يحفظه، وبهذا الاعتبار يُقال أيضاً إن الله يحفظ بعض الأشياء لا كلها، لأن منها ما ليس له مفاسد، فيحتاج في حفظه إلى درئها. والثاني بالأصالة وبالذات، وذلك متى كان المحفوظ متوقفاً على الحافظ بحيث يمتنع وجوده من دونه، وبهذا الاعتبار تحتاج جميع المخلوقات إلى الحفظ الإلهي لأن وجود كل خليقة يتوقف على الله، بحيث إنها ما لم تُحفظ في الوجود بفعل القدرة الإلهية، لا يُمكن وجودها في نفسها ولو دقيقة، بل تصير إلى العدم))[2].

تعقيب على فلسفة توما الأكويني :

بالرغم من وجود محرك أول عند كل من أرسطو والأكويني، أو اشتراكهما في موجد أول للكون، إلا أن الأكويني يذهب إلى فكرة الخلق، فلم يكتفِ فقط بوجود محرك، وإنما ذهب إلى أن هناك خالقاً للكون، وهو ما يتميز به عن أرسطو، ذلك أن فكرة أرسطو عن الكون وإيجاده خالية من الخلق، إنما فقط محرك أول له.

كما أن في نظرية توما الأكويني عن الكون وإيجاده وخلقه تطويعاً لفكرة أرسطو، فكما سبق القول بأن فلسفة توما تشبه فلسفة أرسطو إلى حد كبير، إلا أنه عند التعارض بين فكر توما اللاهوتي وفكر أرسطو الفلسفي، يحاول توما أن يُطوِع أو يؤول فكر أرسطو وفق اللاهوت المسيحي، وذلك لمحاولة توما التوفيق بين الفلسفة والدين كما سبق القول، كما أنه في الوقت ذاته عند التعارض بينهما يرى توما أن الحق يكون من خلال الوحي واللاهوت وليس الفلسفة، لأن الحقائق تُؤخَذ أولاً عن طريق الوحي والدين، وفي النهاية ذهب إلى أن

---

(١) توما الأكويني، الخلاصة اللاهوتية، م ٢، ترجمة بولس عواد، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٨٨٧، ص ص ٦٠٠ – ٦٠١.

(٢) المرجع السابق، ص ص ٦٠١ – ٦٠٢.

استنتاج حدوث العالم عن طريق الوحي والإيمان من خلال الكتاب المقدس، وفي ذلك إشارة إلى تمسكه بالعقيدة المسيحية، والمحافظة على كل ما جاء به الوحي، وذلك من خلال التأكيد على أن المخلوقات تأخذ دوام استمرارها من الله، ومن ثم كانت هذه إحدى خطوات توما في التأكيد على عدم فصله بين العقيدة المسيحية وبين الفلسفة، وإن كان في ذلك التخلي عن آراء أرسطو في بعض الأحيان، أو الإشارة إلى أن أرسطو في قضية خلق العالم لم يجزم بقوله في قدم العالم.

لا يمكن القول بأن الأكويني أول من قال بالخلق المستمر، بل سبقه إلى ذلك ابن رشد وإن لم يُصرح بذلك.

ديكارت *ونظريته في الخلق المستمر:

كان لديكارت فلسفة خاصة، والفلسفة عنده إنما تبدأ بالميتافيزيقا، أي الفلسفة الأولى، ويرى ديكارت أنه إذا وضعنا الميتافيزيقا، استطعنا أن نستنبط منها ما عداها: "رأيت أن وجود هذا الفكر هو المبدأ الأول، واستنبطت منه المبادئ التالية : أن هناك إلهاً هو خالق كل ما في العالم..." [(١)]، والله عند ديكارت " جوهر لا متناه خالد ثابتا قائما بذاته واسع

---

* وُلد رينيه ديكارت في ٣١ من شهر مارس عام ١٥٩٦ في قرية لاهاي في مقاطعة تورين، وفي عمر العاشرة التحق بكلية لافليش، والتي أسسها هنري الرابع لجماعة اليسوعيين، وكانت الخمس سنين الأولى في الكلية تسترشد بمبادئ النهضة الإنسانية، ومن ثم، كُرست لدراسة الأدب اللاتيني واليوناني والكلاسيكي (خاصة الأدب اللاتيني وأعمال شيشرون). ولقد خُصصت الثلاث سنوات الأخيرة لتعلم عدة مواضيع تحتوي على الفلسفة التوماوية والفلسفة الأرسطية، والرياضيات، والميتافيزيقا، والفلسفة الأخلاقية. ولقد أتم ديكارت تعليمه في لافليش عام ١٦١٤، ثم اتجه بعد ذلك لدراسة القانون، فلقد حصل على درجة الليسانس في القانون من جامعة بواتييه عام ١٦١٦، وفي صيف ١٦١٨ ترك ديكارت فرنسا متوجهاً إلى هولندا كي يلتحق بالخدمة العسكرية في جيش موريس دي ناسو. بعد هذه المرحلة كان ديكارت شغوفاً بمسائل العلم، وكان لازدياد هذا الشغف صداقته لإسحاق بيكمان، حيث كانا يتبادلان الرسائل العلمية ويحاولان حلها. ولقد قدم ديكارت فلسفته من خلال كتابين أساسيين: مقال عن المنهج، والتأملات، والذي كان قائماً على مبادئ العلم، ومن أهم مؤلفات ديكارت : قواعد لإرشاد العقل، ومقال عن المنهج، والتأملات الفلسفية، ومبادئ الفلسفة، ورسالة في انفعالات النفس.
انظر : Encyclopedia of Philosophy , Editor , Donald Drochert ,Vol 2 , 2nd dition , Macmillan Reference , Thomsom Gale , USA , 2006 , p 720-721. و محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي (الفلسفة الحديثة)، ج ٤، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦ ص ٤٥،
Henry Thomas – Dana Lee Thomas ,Living Biographies of Great Philosophes ,W.H. Allen , London , p 106.

(١) ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، ترجمة عثمان أمين، تصدير مصطفى لبيب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ص ٨- ٩.

القدرة، وهذه الفكرة التي وُضعت في ذهنه لا يكون إلا جوهر لا متناه قد وضعها فيه، إذن فالله موجود" [١].

ولقد أورد ديكارت ثلاثة براهين تثبت وجود الله تعالى، وانطلق من البرهان الثاني لوجوده تعالى إلى الحديث عن نظرية الخلق المستمر.

ويقول ديكارت في البرهان الثاني حول وجود الله: " إن الفكرة التي لديّ عن وجود أكمل من وجودي قد وضعها فيّ موجود هو أكمل مني في الواقع... وإني أتساءل إذن ممن استفدت وجودي ؟ قد أكون استفدته من نفسي، أو من أبوي، أو من علل أخرى أقل كمالاً، فلا يمكن أن نتصور شيئاً أكمل منه ولا كفؤاً له، لكني لو كنت مستقلاً عن كل شيء سواي، وكنت أنا نفسي خالق وجودي، لما كنت أشك في شيء أو أشتهي شيئاً ، ولما كنت بالإجمال مفتقراً إلى أي كمال، لأني كنت أمنح نفسي كل كمال يخطر ببالي، وأكون حينئذ إلهاً [٢]، لأن خلق هذه الكمالات التي ليست إلا أحوالاً للجوهر أسهل من خلق الجوهر نفسه، وقد يُقال دفعاً لهذه الحجة، إني ربما كنت موجوداً من قبل على نحو ما أنا موجود الآن، ولكن هذا لا يحل الإشكال : لأني لا أستطيع أن أبقى في بعض الزمان إلا إذا كنت مخلوقاً في كل لحظة من جديد، فإن الزمان الحاضر لا يعتمد على الزمان السابق، ولهذا احتاج بقاء الجوهر في جميع لحظات استمراره في الوجود إلى المؤثر نفسه الذي يكون ضرورياً لخلقه بأسره من جديد إذا لم يكن موجوداً بعد، لكن لا أملك القدرة على البقاء أو على منح نفسي الوجود في كل لحظة، إذن فلست خالق وجودي [٣]، إذاً هناك وجود أكمل من وجودي، وهذا الوجود هو الله، فهو الكائن الأكثر كمالاً وأنا تابع له [٤]، فالله في علاقته بالوجود هو الكائن الخالق، والصفة التي يتسم بها من حيث هو أساس الوجود وأصله، صفة الخلق، أو صفة القدرة الخالقة، كما أن صفة الحدوث في العالم توحي بناحية في الخلق الإلهي لا يمكن أن توحي به الحقائق العلمية هي الناحية الزمنية، فالحدوث معناه الحدوث في الزمن، وكون العالم حادثاً معناه أن الله خلقه في الزمن[٥].

---

(١) ديكارت، المصدر سابق، ص ص ١٢٣ – ١٢٤.

(٢) المصدر السابق، ص ١٥٧.

(٣) المصدر السابق، ص ١٢٧.

(٤) ديكارت، مقال عن المنهج، ترجمة محمود محمد الخضيري، مراجعة وتقديم محمد مصطفى حلمي، ط ٢، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨، ص ص ١٥٥ – ١٥٦.

(٥) نجيب بلدي، ديكارت، ط٢، دار المعارف، مصر، ص ص ١٣٣– ١٣٤.

ولقد أشار ديكارت إلى الزمان وأن له علاقة بالخلق المستمر أو حفظ الوجود، فيقول في : "التأملات " : "على أنه لو جاز لي أن أفترض أنني ربما كنت موجوداً دائماً كما أنا موجود الآن، فلن أتحاشى بذلك قوة هذا الاستدلال، ويتحتم عليَّ أن أعرف ضرورة كون الله خالق وجودي، لأن زمان حياتي كله يُمكن أن ينقسم إلى أجزاء لا نهاية لها، كل واحد منها لا يعتمد بأي حال على الأجزاء الأخرى، ويترتب على ذلك كله أنه لا يلزم من أني كنت موجوداً في الزمان الماضي القريب أن أكون موجوداً الآن، ما لم توجد في هذه اللحظة علة توجدني أو " تخلقني مرة ثانية " أي تحفظ عليّ وجودي"[١].

فلقد استعاض ديكارت بفكرة انقسام الزمان إلى غير نهاية، عن فكرة الإمكان التي استخدمها السلف، أو أنه نقل الإمكان إلى اللحظة الآتية التي لا يستطيع فيها المخلوق استبقاء وجوده، فيجدد الله خلقه ، فدليله لا يرمي إلى إثبات بداية المخلوق، بل إلى تفسير دوامه وحفظ وجوده [٢].

ولقد عرف ديكارت " الجوهر " بأنه " الموجود الذي لا يفتقر إلى غير ذاته لكي يوجد، ثم يشير إلى أن الله وحده هو الذي ينطبق عليه هذا التعريف، من حيث إنه موجود قائم بذاته"[٣]، ويرى ديكارت أنه من الممكن إطلاق لفظ " جوهر " ونعني به نوعين من الجوهر : الأول جوهر روحي إلهي، وهو علة ذاته وخالق هذا الوجود وقائم بذاته، أما النوع الثاني من الجوهر فهو جوهر أقل في درجة الكمال من الجوهر الأول، وإذا لم نُدخل في اعتبارنا أنه مفتقر في إيجاده إلى الجوهر الأول، فسنجد أن هذا الجوهر من النوع الثاني سواء كان العقل أو المادة، وجوهريته ترجع إلى فاعلية الجوهر الإلهي نتيجة لتأثيره المستمر[٤].

ويذكر ديكارت في كتابه " مقال عن المنهج " : "إنه إذا كان في العالم بعض الأجسام أو بعض العقول أو طبائع أخرى لم تكن تامة الكمال، فإن وجودها كان واجباً أن يعتمد على قدرته " يقصد الله تعالى "، بحيث إنها جميعاً لم تكن لتقدر على أن تقوم من دونه لحظة واحدة "[٥]، ففي هذا إشارة إلى فكرة الخلق المستمر، وأن الله لم يخلق فقط الأشياء ويتركها، وإنما تتم متابعة المخلوقات كي تظل موجودة في الكون ومستمرة.

---

(١) ديكارت، التأملات، ص ص ١٥٨ – ١٥٩.

(٢) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، مصر، ص ٧٤.

(٣) ديكارت، مبادئ الفلسفة، ترجمة عثمان أمين، مكتبة النهضة، القاهرة، ١٩٦٠، ص ١٤٦.

(٤) محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي (الفلسفة الحديثة)، ج ٤، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦، ص ٦٧.

(٥) ديكارت، مقال عن المنهج، ص ١٥٨.

ولقد أشار ديكارت إلى هذه النظرية بالتفصيل في موضع آخر من الكتاب ذاته يقول فيه : "فهذا العالم قد صنعه الله منذ المبدأ على ما ينبغي أن يكون، ولكنه من اليقين أن العمل الذي يحفظه به الآن هو العمل نفسه الذي صنعه به، بحيث إنه لو لم يصوره في المبدأ بغير صورة الخليط، ما دام أنه حين أقام قوانين الطبيعة أولاها مدده لتعمل على مقتضى عادتها، فإن المرء يستطيع أن يعتقد دون جحود بمعجزة الخلق، إنه بذلك فقط تستطيع كل الأشياء التي هي مادية محضة، مع الزمن، أن تصير إلى ما نراها عليه الآن، وتصور طبيعتها حينما يشاهد تولدها شيئاً فشيئاً على هذا الوجه، أيسر كثيراً من ألا تعتبر إلا وهي كاملة الصنع"(١).

"والواقع إن من الأمور الواضحة البينة للغاية عند كل من يمعنون النظر في طبيعة الزمان، أن حفظ جوهر ما، في كل لحظة من لحظات مدته، يحتاج إلى عين القدرة، وإلى عين الفعل اللازمين لإحداثه أو لخلقه من جديد إذا لم يكن بعد موجوداً . فإن النور الفطري يدلنا بوضوح على أن الحفظ والخلق لا يختلفان إلا من حيث طريقتنا في التفكير، لا في واقع الأمور"(٢).

أيضاً تطرق ديكارت لنظرية الخلق المستمر في كتابه " العالم " بصورة واضحة وموسعة، حيث ذكر القوانين الطبيعية التي يخضع لها العالم، واستنتج من هذه القوانين نظرية " الخلق المستمر ".

ويرى ديكارت أنه ابتداء من اللحظة التي يخلق الله فيها المادة، يخضعها " للقوانين العادية الطبيعية " التي أنشأها، وجعل " طبيعة هذا العالم الجديد تفعل تبعاً لها "، ولقد استمر الله تعالى بحفظ هذه المادة، ويقول ديكارت في ذلك: "اعلموا إذن، أولاً ، أنني " بالطبيعة " لا أفهم قط آلهة ما، أو أي نوع آخر من القوى الخيالية، ولكني أستخدم هذه الكلمة لأدل على المادة نفسها من حيث إنني أنظر إليها مع كل الصفات التي نعتها بها، مفهومة كلها مجتمعة، وتحت شرط كون الله يستمر في حفظها بالطريقة نفسها التي خلقها بها"(٣).

---

(١) المصدر السابق، ص ص ١٧١ – ١٧٢.

(٢) ديكارت، التأملات، ص ١٥٩.

(٣) ديكارت، العالم، ترجمة إميل خوري، ط ١، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٩٩٩، ص ٨١.

أما القوانين الطبيعية التي يخضع لها العالم فهي ثلاثة قوانين :

١- قانون قصور المادة، ويكمن في محافظة أي جسم على حالته " من حجم وهيئة وحركة... " إذا لم يضطره أي عامل خارجي " صدمة أو نار.. " إلى تغييرها [١].

٢- قانون حفظ الحركة، وهو مكمل للقانون السابق لكنه مقصور على حركة الجسم، ويَنُص هذا القانون على أنه إذا دُفع جسم إلى تغيير حركته، سواء إلى زيادة أو إلى نقصان، فإنه يدفع معه بالضرورة جسماً آخر إلى تغيير حركته كذلك، بحيث إن ما يربحه الأول يخسره الثاني، أو العكس، وبذلك تحافظ الموجودات على كمية الحركة نفسها التي أوجدها الله في الكون مع خلقه.

"إن هاتين القاعدتين تنتجان بجلاء من أن الله ثابت، ومن أنه لما كان يفعل بالطريقة نفسها، فهو يحدث دائماً النتيجة نفسها. إذ لما كنا قد افترضنا أنه وضع كمية معينة من الحركات في كل المواد عامة منذ اللحظة الأولى التي خلقها فيها، فمن الواجب إما الاعتراف بأنه يحفظ دائماً المقدار نفسه من الحركات، وإما إنكار أنه يفعل دائماً بالطريقة نفسها، ولما كنا قد افترضنا مع ذلك أنه منذ تلك اللحظة الأولى، التي توزعت فيها الحركات بصورة غير متساوية على أجزاء المادة المختلفة، بدأت هذه في حفظها أو في تناقلها بعضاً من بعض تبعاً لإمكان امتلاكها قوة هذا التناقل، فمن الواجب الاعتقاد بالضرورة أنه يجعلها تتابع دائماً الشيء نفسه"[٢].

٣- إنه عندما يتحرك جسم ما – فمع أن حركته تتم في الأغلب في خط منحن، ومع أنه من المحال أن تتم أية حركة لا تكون بطريقة ما دائرية، فإن كل جزء من أجزاء هذا الجسم ينزع دائماً إلى متابعة حركته في خط مستقيم، وهكذا فإن فعل هذه الأجزاء أي الميل الذي لديها للتحرك يختلف عن حركتها[٣].

وترتكز هذه القاعدة على أساس القاعدتين الأخريين نفسيهما ولا تتعلق إلا بكون الله يحفظ كل شيء بفعل مستمر، وبالتالي لا يحفظه كما أمكن أن يكون قبل وقت ما، ولكن بالضبط كما هو في الآن عينه الذي يحفظه فيه. والحال إنه بين الحركات كلها ليس هناك

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٨.

(٢) المرجع سابق، ص ٨٦.

(٣) المرجع السابق، والصفحة نفسها.

من حركة بسيطة تماماً وذات طبيعة مفهومة كلياً وفي لحظة واحدة إلا الحركة المستقيمة، لأنه يكفي لفهم هذه الحركة أن نفكر أن جسماً هو في حالة التحرك نحو جهة معينة، الأمر الذي يوجد في كل لحظة من اللحظات التي يمكن تحديدها أثناء الوقت الذي يتحرك فيه الجسم. في حين أنه لفهم الحركة الدائرية، أو أية حركة أخرى ممكنة، ينبغي النظر إلى اثنتين من لحظاتها على الأقل، أو بالأحرى إلى اثنين من أجزائها، وإلى العلاقة الكائنة بينهما [1].

فالقوانين الثلاث السابقة تتعلق كل منها بفكرة الخلق المستمر؛ فالقانون الأول يبين قصور المادة وعجزها عن البقاء والحركة إذا لم يوجد أي مؤثر خارجي يعمل على حفظها باستمرار، أما القانون الثاني المتعلق بحفظ الحركة، أكد ديكارت فيه على أن الله تعالى هو الذي يحفظ الحركة في كل مادة من المواد، فالحركة لا توجد في أي مادة من المواد ولا تستمر إلا بحفظ الله لها وتدخله.

كذلك تشير القاعدة الثالثة التي يقوم عليها العالم إلى أن الله هو المتكفل بحفظ الحركة في المواد أيضاً كالقانون الثاني، وأنه فاعل الحركات في كل مادة من مواد العالم، وهو الذي يحدد مسارها واتجاهها.

تعقيب على فلسفة ديكارت :

١- إن الله عند ديكارت جوهر لا متناهي خالد ثابت قائم بذاته واسع القدرة، وهو بذلك مشابه لفكرة الإله عند المسيحيين ومتوافق معها، كما أن الموجودات عنده مفتقرة في وجودها وبقائها إلى قدرة الله، فهو الوحيد القادر على إبقائها واستمرار وجودها، و بذلك كانت البداية لنظرية الخلق المستمر عند ديكارت.

٢- إن الله تعالى عند ديكارت لم يخلق العالم والموجودات فقط، بل إن عنايته امتدت إلى بقاء الموجودات و المحافظة على وجودها، فالصلة بين الخالق والمخلوق موجودة ولم تنقطع بمجرد الخلق فقط، بل إن الأثر الإلهي ممتد إلى ما بعد الخلق.

---

(١) ديكارت، مصدر سابق، ص ٨٧.

الخاتمة :

١- يُعد رأي ديكارت في نظرية الخلق المستمر امتداداً للاهوت المسيحي، كما أن تأكيده على أن لله تأثيراً مطلقاً في الكون، وأنه حافظ وجوده، إشارة إلى مدى تأثر ديكارت بالمسيحية، وعدم الفصل بينها وبين الفلسفة، وهو في ذلك يُعد مشابهاً للقديس توما الأكويني، فرأي كليهما في الخلق المستمر لم يكن ببعيد عن العقائد المسيحية، إنما كان دائراً في فلكها.

٢- كان للحركة أهمية واضحة في نظرية الخلق المستمر عند كلٍ من توما الأكويني و ديكارت، فالحركة هي السبب في تجدد الخلق ودوامه واتصاله، كما كان لفكرة الزمان أهمية وارتباطاً وثيقاً بنظرية الخلق المستمر عند ديكارت، حيث رأى أن انقسام الزمان إلى غير نهاية له ارتباط واضح بتجدد الخلق واستمراره.

٣- الله عز وجل هو الأساس عند كلٍ من الأكويني وديكارت، فمنهما يبدأ العالم، وهو وحده القادر على حفظ المخلوقات واستمرار وجودها، من دونه لا دوام ولا استمرار للموجودات في العالم، فالعالم وموجوداته الضامن لحفظه ووجوده هو الله، فكانت ميتافيزيقا كلٌ منهما أساسها الله.

٤- تتفق رؤية كلٍ من الأكويني وديكارت على أن الله تعالى هو الأساس في خلق العالم، وإن استقل الأكويني بأنه إذا تعارض كلٌ من العقل والنقل يُقدم النقل على العقل، كما أن ديكارت بالرغم من منهجه العقلي، إلا أنه لم يستطع التخلي عن عقيدته المسيحية، فوضع الله تعالى على رأس الموجودات، وأنه خالقها والسبب في استمرار وجودها.

٥- يُمكن القول بأن فلسفة كلٍ من الأكويني وديكارت ذات صبغة دينية، فكلاهما لم يعارض ما في نصوص الكتاب المقدس، بل كانت فلسفتهما متفقة إلى حد كبير مع ما ورد في سفر التكوين عن بداية الخلق، وأن الله تعالى هو الخالق لكل ما في العالم.

٦- بالاستناد إلى بعض من المعاجم عند تعريف الخلق، نجد الاتفاق على إسناد الخلق لله تعالى وحده، وخاصة إذا كان إيجاد شيء من لا شيء، كما أنه عند تعريف الخلق المستمر أو الدائم نجد أن الله تعالى هو الفاعل في هذه العملية أو هو المسيطر عليها.

مصادر البحث العربية والأجنبية :

١- موسوعة أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، م١، ط٢، منشورات عويدات، بيروت – باريس، ٢٠٠١.

٢- معجم جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج ١، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت – لبنان، ١٩٨٢.

٣- معجم عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج ١، ط ١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤.

٤- جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ط ٣، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٦.

5- Encyclopedia of Philosophy , Editor , Donald Drochert ,Vol 2- 9 , 2nd edition , Macmillan Reference , Thomsom Gale , USA , 2006.

6- Norman L. Geisler , Encyclopedia of Christian Apologetics ,

.Puplished by Baker Books , United States , 1999

المصادر والمراجع المترجمة إلى العربية:

١- أليكسي جورافسكي، الإسلام والمسيحية، ترجمة خلف محمد الجراد، عالم المعرفة، العدد ٢١٥، الكويت، ١٩٩٦.

٢- اتيين جيلسون، روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، ط ٣، مكتبة مدبولي، ١٩٩٦.

٣- توما الأكويني، الخلاصة اللاهوتية، م ١، ٢، ترجمة بولس عواد، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٨٨٧.

٤- جونسو وبوجان، تاريخ الفلسفة والعلم في أوروبا الوسيطية، ترجمة علي زيعور وعلي مقلد، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٣.

٥- ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، ترجمة عثمان أمين، تصدير مصطفى لبيب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٩.

٦- ديكارت، مبادئ الفلسفة، ترجمة عثمان أمين، مكتبة النهضة، القاهرة، ١٩٦٠.

٧- ديكارت، مقال عن المنهج، ترجمة محمود محمد الخضيري، مراجعة وتقديم محمد مصطفى حلمي، ط ٢، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨.

٨- ديكارت، العالم، ترجمة إميل خوري، ط ١، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٩٩٩.

مراجع عربية:

١- زينب محمود الخضيري، أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٣.

٢- عبد الرحمن بدوي، فلسفة العصور الوسطى، ط ٣، وكالة المطبوعات – دار القلم، الكويت – بيروت، ١٩٧٩،.

٣- لويس صليبا، هكذا علّم توما الأكويني، قدم له بولس الفغالي، دار ومكتبة بيبليون، لبنان، ٢٠١١.

٤- محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي (الفلسفة الحديثة)، ج ٤، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦.

٥- محمود قاسم، نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى القديس توما الأكويني، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

٦- نجيب بلدي، ديكارت، ط٢، دار المعارف، مصر (د. ت.).

٧- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢.

٨- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، مصر (د. ت.).

مراجع أجنبية:

1- Henry Thomas – Dana Lee Thomas ,Living Biographies of Great Philosophes ,W.H. Allen , London

2- John Shand , Philosophy & Philosophers " An Introduction to Western Philosophy " , UCL Press , London , 1993.